(١٠٠) سورة العاديات مكية وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعاديات ضبحا ﴾

اعلم أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت ، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ، ولكنه صوت نفس ، ثم اختلفوا فى المراد بالعاديات على قولين :

﴿الأول﴾ ماروى عن على عليه السلام وابن مسعود أنها الإبل ، وهو قول ابراهيم والقرظى روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « بينا أنا جالس فى الحجر إذ أتانى رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ، ففسرتها بالخيل فذهب إلى على عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت ، فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه ، قال تفتى الناس بما لا علم لك به ، والله إن كانت لأول غزوة فى الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد (والعاديات ضبحا) الإبل من عرفة إلى مزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى ، يعنى إبل الحاج ، قال ابن عباس فرجعت عن قولى إلى قول على عليه السلام » ويتأكد هذا القول بما روى أبى فى فضل السورة مرفوعا «من قرأها أعطى من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعاً» وعلى هذا القول (فالموريات قدحا) أن الحوافر ترمى بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجراً آخر فتورى النار أو يكون المعنى الذين يركبون الإبل وهم الحجيج إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة (فالمغيرات) الإغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين إلى منى (فأثرن به نقعاً) يعنى غباراً بالعدو وعن محمد بن كعب النقع ما بين المزدلفة إلى منى (فوسطن به جمعاً) يعنى مزدلفة لأنها تسمى الجمع لاجتماع الحاج بها ، وعلى هذا التقدير ؛ فوجه القسم به من وجوه (أحدها) ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه فى قوله (أفلا ينظرون إلى الإبل) (وثانيها) كأنه تعريض بالآدمى الكنود فكأنه تعالى يقول : إنى سخرت مثل هذا لك وأنت متمرد عن طاعتى (وثالثها) الغرض بذكر إبل الحج الترغيب فى الحج ، كأنه تعالى يقول : جعلت ذلك الإبل مقسما به ، فكيف أضيع

فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾

عملك ! وفيه تعريض لمن يرغب الحج ، فإن الكنود هو الكفور ، والذى لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك ، كما فى قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) إلى قوله (ومن كفر) .

﴿القول الثانى﴾ قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وأكثر المحققين أنه الخيل ، وروى ذلك مرفوعاً . قال الكلبى : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى أناس من كنانة فمكث ما شاء الله أن يمكث لا يأتيه منهم خبر فتخوف عليها . فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها ، فإن جعلنا الألف واللام فى (والعاديات) للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية ، وإن جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله .

واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادى أن المراد هو الخيل ، وذلك لأن الضبح لا يكون إلا للفرس ، واستعمال هذا اللفظ فى الإبل يكون على سبيل الاستعارة ، كما استعير المشافر والحافر للانسان ، والشفتان للمهر ، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز ، وأيضاً فالقدح يظهر بالحافر مالا يظهر بخف الإبل ، وكذا قوله (فالمغيرات صبحاً) لأنه بالخيل أسهل منه بغيره ، وقد روينا أنه ورد فى بعض السرايا ، وإذا كان كذلك فالأقرب أن السورة مدنية ، لأن الإذن بالقتال كان بالمدينة ، وهو الذى قاله الكلبى ، إذا عرفت ذلك فههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أنه تعالى إنما أقسم بالخيل لأن لها فى العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب ، فإنها تصلح للطلب والهرب والكر والفر ، فإذا ظننت أن النفع فى الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة ، وإذا ظننت أن المصلحة فى الهرب قدرت على أشد العدو ، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين ، فأقسم تعالى بفرس الغازى لما فيه من منافع الدنيا والدين ، وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يمسكه لا للزينة والتفاخر ، بل لهذه المنفعة ، وقد نبه تعالى على هذا المعنى فى قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) فأدخل لام التعليل على الركوب وما أدخله على الزينة وإنما قال (ضبحاً) لأنه أمارة يظهر به التعب وأنه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب ، فكأنه تعالى يقول : إنه مع ضعفه لا يترك طاعتك ، فليكن العبد فى طاعة مولاه أيضاً كذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكروا فى انتصاب (ضبحاً) وجوهاً (أحدها) قال الزجاج : والعاديات تضبح ضبحاً (وثانيها) أن يكون (والعاديات) فى معنى والضابحات ، لأن الضبح يكون مع العدو ، وهو قول الفراء (وثالثها) قال البصريون : التقدير : والعاديات ضابحة ، فقوله (ضبحا) نصب على الحال .

أما قوله تعالى ﴿ فالموريات قدحاً ﴾

فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾

فاعلم أن الإيراء إخراج النار ، والقدح الصك تقول قدح فأورى وقدح فأصلد ، ثم فى تفسير الآية وجوه (أحدها) قال ابن عباس : يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزند إذا قدح ، وقال مقاتل : يعنى الخيل تقدحن بحوافرهن فى الحجارة ناراً كنار الحباحب (١) والحباحب اسم رجل كان بخيلا لا يوقد النار إلا إذا نام الناس ، فإذا انتبه أحد أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد . فشبهت هذه النار التى تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التى لم يكن فيها نفع ومن الناس من يقول : انها نعل الحديد يصك الحجر فتخرج النار ، والأول أبلغ لأن على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد (وثانيها) قال قوم هذه الآيات فى الخيل ، ولكن إيراؤها أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوهم ، كما قال تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله) ومنه يقال للحرب إذا التحمت حمى الوطيس (وثالثها) هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم (فالموريات) هم الجماعة من الغزاة (ورابعها) إنما هى الألسنة تورى نار العداوة لعظم ما تتكلم به(وخامسها)هى أفكار الرجال تورى نار المكر والخديعة ، روي ذلك عن ابن عباس ، ويقال لأقدحن لك ثم لأورين لك ، أى لأهيجن عليك شراً وحرباً ، وقيل هو المكر إلا أنه مكر بإيقاد النار ليراهم العدو كثيراً ، ومن عادة العرب عند الغزو إذا قربوا من العدو أن يوقدوا نيراناً كثيرة ، لكى إذا نظر العدو إليهم ظنهم كثيراً (وسادسها) قال عكرمة الموريات قدحا الألسنة (وسابعها) (فالموريات قدحا) أى فالمنجحات أمراً ، يعنى الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج ، ويقال للمنجح فى حاجته ورى زنده ، ثم يرجع هذا إلى الجماعة المنجحة ، ويجوز أن يرجع إلى الخيل ينجح ركبانها قال جرير :

وجدنا الأزد أكرمهم جواداً وأوراهم إذا قدحوا زنادا

ويقال فلان إذا قدح أورى ، وإذا منح أورى ، واعلم أن الوجه الأول أقرب لأن لفظ الإيراء حقيقة فى إيراء النار ، وفى غيره مجاز ، ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل .

أما قوله تعالى ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ يعنى الخيل تغير على العدو وقت الصبح ، وكانوا يغيرون صباحاً لأنهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيئاً ، وأما النهار فالناس يكونون فيه كالمستعدين للمدافعة والمحاربة ، أما هذا الوقت فالناس يكونون فيه فى الغفلة وعدم الاستعداد . وأما الذين حملوا هذه الآيات على الإبل ، قالوا المراد هو الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى . والسنة أن لا تغير حتى تصبح ، ومعنى الإغارة فى اللغة الإسراع ، يقال أغار إذا أسرع وكانت العرب فى الجاهلية تقول : أشرق ثبير كيما نغير . أى نسرع فى الإفاضة .

أما قوله ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ ففيه مسائل .

(١) ويقال : الحباحب طائر صغير كالذبابة تضىء ليلا فيظنه الرائى ناراً .

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى النقع قولان (أحدهما) أنا هو الغبار وقيل إنه مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع ، فالغبار يسمى نقعاً لارتفاعه ، وقيل هو من النقع فى الماء ، فكأن صاحب الغبار غاص فيه ، كما يغوص الرجل فى الماء . (والثانى) النقع الصياح من قوله عليه الصلاة والسلام . « مالم يكن نقع ولا لقلقة » أى فهيجن فى المغار عليهم صياح النوائح ، وارتفعت أصواتهن ، ويقال ثار الغبار والدخان ، أى ارتفع وثار القطا عن مفحصه ، وأثرن الغبار أى هيجنه ، والمعنى أن الخيل أثرن الغبار لشدة العدو فى الموضع الذى أغرن فيه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الضمير فى قوله به إلى ماذا يعود ؟ فيه وجوه (أحدها) وهو قول الفراء أنه عائد إلى المكان الذى انتهى إليه ، والموضع الذى تقع فيه الإغارة ، لأن فى قوله (فالمغيرات صبحاً) دليلا على أن الإغارة لابد لها من وضع ، وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجر ذكره بالتصريح كقوله (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) و(ثانيها) إنه عائد إلى ذلك الزمان الذى وقعت فيه الإغارة ، أى فأثرن فى ذلك الوقت نقعاً (وثالثها) وهو قول الكسائى أنه عائد إلى العدو ، أى فأثرن بالعدوا نقعاً ، وقد تقدم ذكر العدو فى قوله (والعاديات) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فإن قيل على أى شىء عطف قوله (فأثرن) قلنا على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه ، والتقدير واللائى عدون فأورين ، وأغرن فأثرن .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قرأ أبو حيوة (فأثرن) بالتشديد بمعنى فأظهرن به غباراً ، لأن التأثير فيه معنى الإظهار ، أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة .

قوله تعالى : ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ ففيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الليث وسطت النهر والمفازة أسطها وسطا وسطة ، أى صرت فى وسطها ، وكذلك وسطتها وتوسطتها ، ونحو هذا ، قال الفراء : والضمير فى قوله (به) إلى ماذا يرجع فيه وجوه (أحدها) قال مقاتل : أى بالعدو ، وذلك أن العاديات تدل على العدو ، فجازت الكناية عنه ، وقوله (جمعاً) يعنى جمع العدو ، والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو ، ومن حمل الآيات على الإبل ، قال يعنى جمع منى (وثانيها) أن الضمير عائد إلى النقع أى (وسطن) بالنقع الجمع (وثالثها) المراد أن العاديات وسطن ملبسا بالنقع جمعاً من جموع الأعداء ،

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرىء (فوسطن) بالتشديد للتعدية ، والباء مزيدة للتوكيد كقوله (وأتوا به) وهى مبالغة فى وسطن ، واعلم أن الناس أكثروا فى صفة الفرس ، وهذا القدر الذى ذكره الله أحسن ، وقال عليه الصلاة السلام « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، وقال أيضا « ظهرها حرز

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

وبطها كنز » واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به ، ذكر المقسم عليه وهو أمور ثلاثة :

(أحدها) قوله ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ قال الواحدى أصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ماعليه ، والأرض الكنود هى التى لاتنبت شيئاً ثم للمفسرين عبارات ، فقال ابن عباس ومجاهد عكرمة والضحاك وقتادة : الكنود هو الكفور قالوا ومنه سمى الرجل المشهور كندة لأنه كند أباه ففارقه ، وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل ، وبلسان مضر وربيعة الكفور ، وروى أبو أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن (الكنود) هو الكفور الذى يمنع رفده ، ويأكل وحده ، ويضرب عبده ، وقال الحسن (الكنود) اللوام لربه يعد المحن والمصائب ، وينسى النعم والراحات ، وهو كقوله (وأما إذا ما ابتلاه ربه فقدره عليه رزقه فيقول ربى أهانن) .

واعلم أن معنى الكنود لايخرج عن أن يكون كفراً أو فسقاً ، وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس ، فلا بد من صرفه إلى كافر معين ، أو إن حملناه على الكل كان المعنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه من ذلك ، والأول قول الأكثرين قالو لأن ابن عباس قال : إنها نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى ، وأيضاً فقوله (أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور) لايليق إلا بالكافر ، لأن ذلك كالدلالة على أنه منكر لذلك الأمر .

﴿ الثانى ﴾ من الأمور التى أقسم الله عليها قوله ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ وفيه قولان (أحدهما) أن الإنسان على ذلك أى على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بذلك ، أما لأنه أمر ظاهر لايمكنه أن يجحده ، أو لأنه يشهد على نفسه بذلك فى الآخرة ويعترف بذنوبه (القول الثانى) المراد وإن الله على ذلك لشهيد قالوا وهذا أولى لأن الضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا هو لفظ الرب تعالى ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصى من حيث إنه يحصى عليه أعماله ، وأما الناصرون للقول الأول فقالوا إن قوله بعد ذلك (وإنه لحب الخير لشديد) الضمير فيه عائد إلى الانسان ، فيجب أن يكون الضمير فى الآية التى قبله عائداً إلى الانسان ليكون النظم أحسن .

﴿ الأمر الثالث ﴾ مما أقسم الله عليه قوله ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ الخير المال من قوله تعالى (إن ترك خيراً) وقوله (وإذا مسه الخير منوعا) وهذا لأن الناس يعدون المال فيما بينهم خيراً كما أنه تعالى سمى مانال المجاهد من الجراح وأذى الحرب سوءا فى قوله (لم يمسسهم

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

سوء) والشديد البخيل الممسك ، يقال فلان شديدة ومتشدد ، قال طرفة :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

ثم فى التفسيرى وجوه (أحدها) أنه لأجل حب المال لبخيل ممسك (وثانيها) أن يكون المراد من الشديدة القرى ، ويكون المعنى وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوى مطيق ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف ، تقول هو شديد لهذا الأمر وقوى له ، وإذا كان مطيقاً له ضابطاً (وثالثها) أراد إنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (ورابعها) قال الفراء يجوز أن يكون المعنى وإنه لحب الخير لشديد الحب يعنى أنه يحب المال ، ويحب كونه محباً له ، إلا أنه اكتفى بالحب الأول عن الثانى ، كما قال (اشتدت به الريح فى يوم عاصف) أى فى يوم عاصف الريح فاكتفى بالأولى عن الثانية (وخامسها) قال قطرب ، أى إنه شديد حب الخير ، كقولك إنه لزيد ضروب أى أنه ضروب زيد .

واعلم أنه تعالى لما عد عليه قبائح أفعاله خوفه ، فقال ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ القول فى (بعثر) مضى فى قوله تعالى (وإذا القبور بعثرت) وذكرنا أن معنى (بعثرت) بعث وأثير وأخرج ، وقرىء بحثر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لقائل أن يسأل لم قال (بعثر ما فى القبور) ولم يقل بعثر من فى القبور ؟ ثم إنه لما قال مافى القبور ، فلم قال (إن ربهم بهم) ولم يقل إن ربها بها يومئذ لخبير ؟ (الجواب عن السؤال الأول) هو أن مافى الأرض من غير المكلفين أكثر فأخرج الكلام على الأغلب ، أو يقال أنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل بعد البعث يصيرون كذلك ، فلا جرم كان الضمير الأول ضمير غير العقلاء ، والضمير الثانى ضمير العقلاء .

ثم قال تعالى ﴿ وحصل مافى الصدور ﴾ قال أبو عبيدة ، أى ميز مافى الصدور ، وقال الليث : الحاصل من كل شىء ما بقى وثبت وذهب سواه ، والتحصيل تمييز ما يحصل والإسم الحصيلة قال لبيد :

وكل امرىء يوماً سيعلم سعيه إذا حصلت عند الإله الحصائل

وفى التفسير وجوه (أحدها) معنى حصل جمع فى الصحف ، أى أظهرت محصلا مجموعاً (وثانيها) أنه لا بد من التمييز بين الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والمحظور ، فإن لكل واحد ومنه قيل للمنخل المحصل (وثالثها) أن كثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره ، أما فى يوم القيامة فإنه تتكشف الأسرار وتنهتك الأستار ، ويظهر مافى البواطن ، كما قال (يوم تبلى السرائر) واعلم أن حظ الوعظ منه أن يقال إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه ، فتبنى المقبرة وتشترى

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

التابوت ، وتفصل الكفن ، وتغزل العجوز الكفن ، فيقال هذا كله للديدان ، فأين حظ الرحمن ! بل المرأة إذا كانت حاملا فإنها تعد للطفل ثياباً ، فإذا قلت لها لاطفل لك فما هذا الاستعداد ؟ فتقول أليس يبعثر مافى بطنى ؟ فيقول الرب لك : ألا يبعثر مافى بطن الأرض . فأين الاستعداد ، وقرىء وحصل بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر .

ثم قال ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ اعلم أن فيه سؤالات :

﴿ الأول ﴾ أنه يوهم أن علمه بهم فى ذلك اليوم إنما حصل بسبب الخبرة ، وذلك يقتضى سبق الجهل وهو على الله تعالى محال (الجواب) من وجهين (أحدهما) كأنه تعالى يقول : إن من لم يكن عالما ، فانه يصير بسبب الاختبار عالماً ؛ فمن كان لم يزل عالماً أن يكون خبيرا بأحوالك ! (وثانيهما) أن فائدة تخصيص ذلك الوقت فى قوله (يومئذ) مع كونه عالماً لم يزل أنه وقت الجزاء ، وتقريره لمن الملك كأنه يقول لاحاكم يروج حكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذ إلا هو ، وكم عالم لا يعرف الجواب وقت الواقعة ثم يتذكره بعد ذلك ، فكأنه تعالى يقول لست كذلك .

﴿ السؤال الثانى ﴾ لم خص أعمال القلوب بالذكر فى قوله (وحصل ما فى الصدور) وأهمل ذكر أعمال الجوارح ؟ (الجواب) لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلب . فإنه لولا البواعث والإردات فى القلوب لما حصلت أفعال الجوارح ، ولذلك إنه تعالى جعلها الأصل فى الذم ، فقال (آثم قلبه) والأصل فى المدح ، فقال (وجلت قلوبهم) .

﴿ السؤال الثالث ﴾ لم قال (وحصل مافى الصدور) ولم يقل وحصل مافى القلوب ؟ (الجواب) لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته ، إنما المنازع فى هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر ، ولذلك قال (يوسوس فى صدور الناس) وقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام) فجعل الصدر موضعاً للاسلام .

﴿ السؤال الرابع ﴾ الضمير فى قوله (إن ربهم بهم) عائد إلى الإنسان وهو واحد (والجواب) الإنسان فى معنى الجمع كقوله تعالى (إن الإنسان لفى خسر) ثم قال (إلا الذين آمنوا) ولولا أنه للجمع وإلا لما صح ذلك . واعلم أنه بقى من مباحث هذه الآية مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذه الآية تدل على كونه تعالى عالماً بالجزئيات الزمانيات ، لأنه تعالى نص على كونه عالماً بكيفية أحوالهم فى ذلك اليوم فيكون منكره كافراً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ نقل أن الحجاج سبق على لسانه أن بالنصب ، فأسقط اللام من قوله (لخبير) حتى لا يكون الكلام لحناً ، وهذا يذكر فى تقرير فصاحته ، فزعم بعض المشايخ أن هذا كفر لأنه قصد لتغيير المنزل . ونقل عن أبى السمال أنه قرأ على هذا الوجه ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

سورة «والعادِيات»

وهي مكِّيةٌ في قول ابنِ مسعودٍ وجابر والحسن وعكرمةَ وعطاء. ومدنِيةٌ في قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة(١). وهي إحدى عَشْرة آيةً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ أي: الأفراس تَعْدو. كذا قال عامَّةُ المفسِّرين وأهل اللغة، أي: تعدو في سبيل الله فَتَضْبَحُ. قال قتادة: تَضْبَحُ إذا عَدَتْ، أي: تُحمحِم(٢). وقال الفرَّاء: الضَّبْح: صوتُ أنفاسِ الخيلِ إذا عَدَوْن(٣). ابن عباس: ليس شيءٌ من الدوابِّ يضْبَحُ غير الفرسِ والكلبِ والثعلب(٤). وقيل: كانت تُكْعَمُ(٥) لئلَّا تَصْهَلَ، فيعلم العدوُّ بهم؛ فكانت تتنفَّس في هذه الحال بقوّة.

قال ابن العربيّ: أَقسم الله بمحمدٍ ﷺ فقال: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وأَقْسَم بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وأقسم بخيله وصهيلها وغُبارِها، وقَدْحِ حوافرِها النارَ من الحجر، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ الآياتِ الخمس(٦). وقال أهلُ اللغةِ:

= الشعراء ٢/ ٧١٤، ومعجم البلدان ٥/ ٣٩٧ - ٣٩٨. قال ياقوت: هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة. يُرى منها البحر، ولها طريقان فكل مَن سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد.

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وزاد المسير ٩/ ٢٠٦، وذكر ابن الجوزي مقاتلاً بدل أنس بن مالك.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠، والطبري ٢٤/ ٥٧١.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٤، وتهذيب اللغة ٤/ ٢١٩.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠، والطبري ٢٤/ ٥٧٢ دون قوله: والثعلب.

(٥) كَعَم البعيرَ: شدَّ فاه، وما يكعَم به: كِعَامٌ. القاموس (كعم).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٦١.

وَطَعْنَةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهِيَهْ طَعَنْتُها عندَ صُدُورِ العَادِيهْ[١]

يعني الخيل. وقال آخر:

والعادياتُ أَسَابِيُّ الدِّماءِ بها كأنَّ أعناقَها أنصابُ تَرْجيبِ[٢]

يعني الخيل. وقال عنترة:

والخيلُ تَعْلَمُ حين تَضْـ ـبَحُ في حِياضِ الموتِ ضَبْحَا[٣]

وقال آخر:

لَسْتُ بالتُّبَّعِ اليمانيِّ إنْ لَمْ تَضْبَحِ الخيلُ في سَوادِ العراقِ[٤]

وقال أهلُ اللغة: وأصلُ الضَّبْحِ والضُّبَاح للثعالب، فاستُعيرَ للخيل. وهو من قول العرب: ضَبَحَتْه النار: إذا غيَّرتْ لونَه ولم تُبالِغْ فيه، وقال الشاعر:

فَلَمَّا أنْ تَلَهْوَجْنا شِواءً به اللَّهَبانُ مَقهورًا ضَبِيحا[٥]

وانضبح لونُه: إذا تغيَّر إلى السواد قليلاً؛ وقال:

عُلِّقْتُها قَبلَ انْضِباحِ لَوْني[٦]

---

(١) البيت لناجية بن جندب الأسلمي ﷺ، كما في سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١ ، والخزانة ٦/ ٢٠٦ . قوله: ذات رشاش، الرشاش: ما تَرَشَّش من الدم والدمع. الصحاح (رشش).

(٢) البيت لسلامة بن جندل، وهو في ديوانه ص ٩٨ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٦٧ . قال ابن قتيبة: الأسابي: طرائق الدم، واحدها: إسباءة. أنصاب ترجيب: جمع نصب، وهو الذي ينصب لذبحِ رجب؛ شبَّه أعناقها ـ لمَا عليها من الدم ـ بالحجارة التي كانوا يذبحون عليها.

(٣) الصحاح (ضبح)، واللسان (ضبح).

(٤) لم نقف عليه.

(٥) البيت لمضَرِّس الأسدي، كما في اللسان (ضبح)، ودون نسبة في تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٥ ، والصحاح (ضبح)، وأساس البلاغة (قهر)، واللسان (قهر). قال صاحب اللسان: المُلَهْوَج من الشواء: الذي لم يتم نضجه. واللَّهَبان اتِّقَادُ النار واشتعالُها. وقهر اللحم: إذا أخذتْه النار وسال ماؤه.

(٦) وبعده: وجُبْتُ لمَّاعاً بعيدَ البَوْنِ، وهو في إصلاح المنطق ص ٢٧٤ ، وتهذيب اللغة ٤/ ٢١٨ ، والصحاح (ضبح) والكلام منه. قال السيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق ص ٤٣٣ : عُلِّق فلانٌ امرأة: إذا أحبها. وجُبْتُ: قطعتُ وخرقت. واللمَّاع: المكان الذي يلمع فيه السراب، وإنما يريد القَفْرَ من الأرض. والبَوْن: المسافة البعيدة.

وإنَّما تَضْبَحُ هذه الحيواناتُ إذا تغيَّرتْ حالُها من فَزَعٍ أو تعبٍ أو طمع. ونصب «ضَبْحاً» على المصدر، أي: والعاديات تضبحُ ضَبْحًا[١]. والضَّبْحُ أيضاً: الرَّماد[٢]. وقال البَصْرِيون: «ضَبْحًا» نصب على الحال[٣]. وقيل: مصدرٌ في موضع الحال.

قال أبو عبيدة[٤]: ضَبَحَتِ الخيلُ ضَبْحًا مثل ضَبَعَتْ، وهو السير. وقال أبو عبيدة: الضَّبْحُ والضَّبْعُ: بمعنى العَدْوِ والسَّيْر[٥]. وكذا قال المبرِّد: الضَّبْحُ مدُّ أضباعِها[٦] في السَّيْر.

ورُوي أنَّ رسول الله ﷺ بعث سَرِيَّةً إلى أناسٍ من بني كِنانَة، فأبطأ عليه خبرُها، وكان استَعْمَل عليهم المنذرَ بنَ عمرو الأنصاريَّ، وكان أحدَ النقباءِ، فقال المنافقون: إنَّهم قُتلوا، فنزلت هذه السورةُ إخباراً للنبيِّ ﷺ بسلامتها، وبشارةً له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم[٧].

وممَّن قال: إنَّ المراد بالعاديات الخيلُ، ابنُ عباس وأنسٌ والحسنُ ومجاهد[٨]. والمراد: الخيلُ التي يغزو عليها المؤمنون. وفي الخبر: «مَن لم يَعْرِفْ حُرْمَة فرسٍ

---

(١) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٥٣.

(٢) الصحاح (ضبح)، وقيده صاحب القاموس (ضبح): الضِّبح بالكسر.

(٣) والتقدير: والعاديات ضابحة. تفسير الرازي ٣٢/ ٦٤.

(٤) في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٧، ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (ضبح)، ووقع في النسخ الخطية: أبو عبيد.

(٥) وعلى هذا القول تكون «ضبحاً» مصدراً مؤكِّداً لاسم الفاعل «العاديات»؛ لأن الضبح نوع من السير والعَدْو، فهو منصوب باسم الفاعل. البحر ٨/ ٥٠٣، والدر المصون ١١/ ٨١.

(٦) وهي أعضادها. الصحاح (ضبع).

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٢، وأسباب النزول للواحدي ص ٤٩٨، وزاد المسير ٩/ ٢٠٧ عن مقاتل. وأخرج نحوه البزار (٢٢٩١ ـ كشف) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢: فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف. وقال ابن كثير عند تفسير هذه السورة: وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً غريباً جدًّا...، وذكره.

(٨) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٠ - ٥٧٢، والنكت والعيون ٦/ ٣٢٣، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٧.

الغازي، ففيه شُعبةٌ من النفاق»[١].

وقول ثان: أنَّها الإبل؛ قال أبو صالح[٢]: نازعتُ فيها عكرمةَ فقال عكرمةُ: قال ابن عباس: هي الخيل. وقلتُ: قال عليٌّ: هي الإبل في الحج، ومولاي أَعْلَمُ من مولاك[٣].

وقال الشعبيُّ: تَمارى عليٌّ وابن عباس في العاديات، فقال عليٌّ: هي الإبِلُ تعدو في الحج. وقال ابن عباس: هي الخيل، أَلَا تَراه يقول: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾، فهل تثيرُ إلَّا بحوافرها! وهل تَضْبَحُ الإبل! فقال عليٌّ: ليس كما قلت، لقد رأيتُنا يومَ بدرٍ وما معنا إلَّا فرسٌ أبلقُ للمقداد، وفرسٌ لمَرْثَد بن أبي مَرْثَد[٤]. ثم قال له عليٌّ: أَتُفْتِي الناسَ بما لا تعلم! والله إن كانت لَأَوَّلَ غزوةٍ في الإسلام، وما معنا إلَّا فرسان: فرسٌ للمقداد، وفرسٌ للزُّبير، فكيف تكون العادياتِ ضبحًا! إنَّما العادياتُ الإِبلُ من عَرَفَةَ إلى المزدَلِفَةِ، ومن المزدلِفةِ إلى منى[٥]، قال ابن عباس: فرجعتُ إلى قولِ عليٍّ[٦]. وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسُّدِّي[٧]. ومنه قولُ صفِيةَ بنتِ عبد المطلب:

---

(١) لم نقف عليه.

(٢) أبو صالح هو مولى أم هانئ، ووقع في النسخ بدلاً منه: مسلم، وهو خطأ.

(٣) ذكره أبو الليث ٣/ ٥٠٢ ، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ - ٣٩١ ، وعبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ .

(٤) أخرجه بنحوه عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ - ٣٨٤ ، وما سيأتي بعده ورد في رواية أخرى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، على ما يأتي.

(٥) في النسخ: إلى عرفة، والمثبت من المصادر ـ على ما يأتي ـ وهو الصواب.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ ، والحاكم ٢/ ١٠٥ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٨٣ لابن الأنباري في المصاحف، وابن مردويه.

(٧) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٣ - ٥٧٤ عن ابن مسعود وعبيد بن عمير، وأخرجه عن محمد بن كعب عبد بن حميد، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤ .

فــلا والــعــاديــاتِ غَــداةَ جَــمْــعٍ بــأيــديــهــا إذا سَــطَــع الــغُــبــارُ[(١)]

يعني الإبل. وسمِّيت العادياتُ لاشتقاقها من العَدْوِ، وهو تباعُدُ الأرجلِ في سرعة المشي[(٢)]. وقال آخر:

رأى صاحبي في العادياتِ نَجِيبةً وأمثالَها في الواضعاتِ القوامِسِ[(٣)]

ومَن قال: هي الإبلُ، فقولُه: «ضَبْحاً» بمعنى ضَبْعاً، فالحاءُ عنده مُبْدَلةٌ من العين؛ لأنه يقال: ضَبَعتِ الإبلُ، وهو أن تَمُدَّ أعناقها في السير. وقال المبرِّد: الضَّبْعُ مدُّ أضباعها في السير. والضَّبْحُ أكثرُ ما يُستَعمَلُ في الخيل. والضَّبْعُ في الإبل. وقد تُبْدَلُ الحاءُ من العين.

أبو صالح: الضَّبْحُ من الخيل: الحمحمةُ، ومن الإبلِ: التنفُّس[(٤)].

وقال عطاء: ليس شيءٌ من الدوابِّ يَضْبَحُ إلَّا الفرسُ والثعلبُ والكلب[(٥)]. ورُوي عن ابن عباس[(٦)]. وقد تقدَّم عن أهل اللغةِ أنَّ العرب تقول: ضَبَح الثعلب، وضَبَح في غير ذلك أيضًا؛ قال تَوْبة:

ولـو أنَّ لـيـلَـى الأخـيـلِـيـةَ سَـلَّـمَـتْ عَـلَـيَّ ودونـي تُـرْبَـةٌ[(٧)] وصـفـائـحُ

لَـسَـلَّـمْـتُ تـسـلـيـمَ الـبـشـاشـةِ أو زَقَـا إليها صَدًى من جانب القبرِ ضابحُ[(٨)]

(١) النكت والعيون ٦/ ٣٢٣ ، وقال الزركشي في البرهان ٣/ ٣١٢ : أنشده الغزنوي في العامريات لصفية رضي الله عنها.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤ .

(٣) الصحاح (عدا)، واللسان (عدا) و(وضع) وفيه: إبل عادية: ترعى الخُلَّة ولا ترعى الحمضَ. وناقة واضع وواضعة، ونوق واضعات: ترعى الحمض حول الماء. والخلة: ما حلا من المرعى، والحمض منه: ما كانت فيه ملوحة.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٥ من طريق أبي علي عن صالح ﷺ.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧١ ، وليس فيه: والثعلب.

(٦) سلف ص٤٢٦ من هذا الجزء.

(٧) في (ظ): جندل، وهي رواية في البيت.

(٨) ديوان توبة ٤٧ - ٤٨ ، والشعر والشعراء ١/ ٤٤٦ ، والأضداد لابن الأنباري ص ٣٢٥ ، وأمالي =

زَقا الصَّدى يزقو زُقَاءً، أي: صاح. وكلُّ زاقٍ صائحٌ. والزَّقْيةُ: الصَّيحة[١].

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ قال عكرمةُ وعطاءٌ والضحَّاك: هي الخيلُ حين تُورِي النارَ بحوافرها[٢]، وهي سَنابِكُها. ورُوي عن ابن عباس[٣].

وعنه أيضاً: أَوْرَتْ بحوافرها غُبارًا. وهذا يخالفُ سائرَ ما رُوي عنه في قَدْحِ النار، وإنَّما هذا في الإبل. ورَوى ابنُ أبي نَجيحٍ عن مجاهد: «والعادياتِ ضَبْحًا. فالمُورِياتِ قَدْحًا» قال: قال ابن عباس: هو في القتال، وهو في الحج[٤].

ابن مسعود: هي الإبلُ تطأ الحصى، فتخرج منها النار[٥].

وأصلُ القَدْحِ الاستخراج، ومنه قَدَحْتُ العينَ: إذا أَخرجت منها الماءَ الفاسد. واقْتَدَحْتُ الزَّنْدَ. واقْتَدَحْتُ المرقَ: غَرَفْته. ورَكيٌّ قَدُوح: تُغْتَرَفُ باليد. والقَديح: ما يبقَى في أسفل القِدْرِ، فيُغْرَفُ بجهدٍ. والمِقْدَحةُ: ما تُقْدَحُ به النار. والقَدَّاحةُ والقَدَّاح: الحجرُ الذي يُورِي النار[٦]. يقال: وَرَى الزَّنْدُ ـ بالفتح ـ يَري وَرْياً: إذا خَرَجَتْ نارُه. وفيه لغةٌ أخرى: وَرِي الزَّندُ ـ بالكسر ـ يَرِي فيهما[٧]. وقد مضى هذا في سورة الواقعة[٨]. و«قَدْحًا» انْتَصَب بما انْتَصَب به «ضَبْحًا».

= القالي ١/ ٨٧، والأغاني ١١/ ٢٤٤، والحيوان ٢/ ٢٩٩، وزهر الآداب ٢/ ٩٣٥، والحماسة البصرية ٢/ ١٠٨، ومنتهى الطلب ١/ ٢٣٠، ووقع في جميع هذه المصادر: صائح، بدل: ضابح.

(١) الصحاح (زقا).

(٢) أخرج قولهم الطبري ٢٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٤٤، وهو قطعة من حديث أخرجه البزار (٢٢٩١ - كشف) وقد سلف الكلام عليه قريباً.

(٤) كذا في النسخ، والذي أخرجه عبد بن حميد ـ كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤ عن مجاهد قال: قال ابن عباس: في القتال، وقال ابن مسعود: في الحج، وكذا أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٠ و٥٧٤ مقطعاً من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٧٨.

(٦) الصحاح (قدح).

(٧) الصحاح (ورى).

(٨) عند تفسير الآية (٧١) منها.

وقيل: هذه الآياتُ في الخيل؛ ولكنَّ إيراءَها: أنْ تُهيجَ الحرب بين أصحابها وبين عدوِّهم. ومنه يقال للحرب إذا التحمت: حَمِيَ الوَطِيسُ. ومنه قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤](١). وروي معناه عن ابن عباس أيضًا، وقاله قتادة(٢).

وعن ابن عباس أيضًا: أنَّ المراد بالمُوريات قَدْحًا: مَكْرُ الرجال في الحرب؛ وقاله مجاهدٌ وزيد بنُ أسلم. والعربُ تقول إذا أراد الرجل أن يمكُر بصاحبه: واللهِ لَأَمْكُرنَّ بك، ثم لَأُوْرِيَنَّ لك(٣).

وعن ابن عباس أيضًا: هم الذين يغزُون، فيُوْرون نيرانَهم بالليل لحاجتهم وطعامهم(٤).

وعنه أيضاً: أنَّها نيرانُ المجاهدين إذا كَثُرتْ نارُها إرهاباً(٥). وكلُّ مَن قَرُبَ من العدوِّ يُوقدُ نيراناً كثيرةً ليظنَّهم العدوُّ كثيراً. فهذا إقسامٌ بذلك. قال محمد بن كعب: هي النارُ تجمع.

وقيل: هي أفكارُ الرجالِ تُورِي نارَ المكرِ والخديعة(٦).

وقال عكرمة: هي أَلْسنةُ الرجالِ تُوْرِي النارَ مِن عظيمِ ما تتكلَّم به ويَظْهرُ بها من الحُجج وإقامةِ الدلائل، وإيضاحِ الحقِّ وإبطالِ الباطل(٧).

---

(١) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥ .

(٢) أخرجه عن قتادة الطبري ٢٤/ ٥٧٦ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧ عن مجاهد وزيد بن أسلم، وأخرجه عن مجاهد الفريابي، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٤ ، ووقع فيهما: لأقدحنَّ لك ثم لأورينَّ لك. وقول ابن عباس أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٩٠ بلفظ: ﴿فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا﴾ قال: هو مكر الرجل.

(٤) أخرجه بنحوه الطبري ٢٤/ ٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٤ .

(٦) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥ .

(٧) ذكره بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٣٢٤ ، وأخرجه مختصراً الطبري ٢٤/ ٥٧٧ .

وروى ابن جُريج عن بعضهم قال: فالمُنْجِحاتِ أَمْراً وعملاً، كنجاحِ الزَّنْدِ إذا أُوْرِي.

قلت: هذه الأقوالُ مَجازٌ، ومنه قولهم: فلانٌ يُورِي زِنادَ[1] الضلالة. والأوّل الحقيقةُ، وأنَّ الخيل من شِدَّة عَدْوِها تَقْدَحُ النارَ بحوافرها. قال مقاتل: العربُ تسمِّي تلك النارَ نارَ أبي حُباحِب، وكان أبو حُباحِب شيخاً من مُضَر في الجاهلية، من أَبْخلِ الناس، وكان لا يُوقدُ ناراً لخبزٍ ولا غيره حتى تنام العيون، فيوقِدُ نُوَيْرةً تَقِدُ مرةً وتَخمدُ أخرى، فإن استيقظ لها أحدٌ أطفأها، كراهيةَ أن ينتفع بها أحد. فشبَّهت العربُ هذه النارَ بنارِه؛ لأنَّه لا يُنتفع بها[2]. وكذلك إذا وقع السيفُ على البيضة فاقْتَدَحَتْ نارًا، فكذلك يسمُّونها، قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سُيوفَهم ... بهنَّ فلولٌ مِن قِراع الكتائبِ
تَقُدُّ السَّلُوقيَّ المضاعَفَ نَسْجُه ... وتُوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِبِ[3]

قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾

الخيلُ تُغِير على العدوِّ عند الصُّبح؛ عن ابن عباس وأكثرِ المفسِّرين[4]. وكانوا إذا أرادوا الغارةَ سَرَوْا ليلاً، ويأتون العدوَّ صبحاً؛ لأنَّ ذلك وقتُ غَفْلةِ الناس. ومنه قولُه تعالى: ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧٧]. وقيل: لِعزِّهم أغاروا نهارًا، و«صُبْحًا» على هذا، أي: علانيةً؛ تشبيهاً بظهور الصبح.

وقال ابن مسعود وعليٌّ رضي الله عنهما: هي الإبلُ تدفع بركبانها يومَ النَّحْرِ من

---

(١) في (ظ): نار.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣، وتفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٨٤ نحوه عن الكلبي.

(٣) ديوان النابغة ص ١١، وسلف البيت الأول ١٠/ ٣٠٤، والثاني ١١/ ٢١٨.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٨ - ٥٧٩، وتفسير البغوي ٤/ ٥١٧.

جَمْعٍ إلى منًى(١)، والسُّنةُ ألَّا تدفعَ حتى تصبح. وقاله القُرَظِيُّ(٢). والإغارةُ: سرعةُ السيرِ، ومنه قولُهم: أشرِقْ ثَبِير، كيما نُغِير(٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾

أي: غبارًا، يعني الخيلَ تثيرُ الغبارَ بشدَّةِ العَدْوِ في المكان الذي أغارت به. قال عبد الله بن رواحة:

عَـدِمْـتُ بُـنـيَّـتـي إنْ لـم تَـرَوْهـا ... تُـثِـيـرُ الـنَّـقْـعَ مـن كَـنَـفَـيْ كَـداءِ(٤)

والكنايةُ في «به» ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذي تقع فيه الإغارة. وإذا عُلِم المعنى جاز أن يُكْنَى عمَّا لم يَجْرِ له ذِكْرٌ بالتصريح، كما قال: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

وقيل: «فأثرن به»، أي: بالعَدْو «نَقْعًا». وقد تقدَّم ذِكْرُ العَدْو.

وقيل: النقع: ما بين مزدلِفةَ إلى مِنًى؛ قاله محمد بن كعب القُرَظِيّ. وقيل: إنَّه طريق الوادي، ولعله يرجع إلى الغبار المثارِ من هذا الموضع(٥).

وفي الصحاح(٦): النَّقْع: الغبار، والجمع: نِقَاع والنَّقْعُ: مَحْبِسُ الماء، وكذلك ما اجتمع في البئر منه. وفي الحديث: أنه نَهى أن يُمنع نقعُ البئر(٧). والنقعُ: الأرضُ

(١) في النسخ: من منى إلى جمع، والمثبت من المصادر ـ على ما يأتي ـ وهو الصواب.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٥١٧ عن محمد بن كعب، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٧٩ - ٥٨٠ عن ابن مسعود، وينظر ما سلف عن علي ﷺ ص٤٢٩ من هذا الجزء.

(٣) تفسير الرازي ٣٢/ ٦٥، وسلف ٣/ ٣٥١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥، ولم نقف عليه عن عبد الله بن رواحة، ونسب لحسان كما في ديوانه ص٦٠، وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٢، ومنتهى الطلب ٦/ ٢٧٠، والخزانة ٩/ ٢٣١ برواية:

عَـدِمْـنـا خـيـلـنـا إن لـم تـروهـا ... تـثـيـر الـنـقـع مـوعـدُهـا كـداءُ

قال البغدادي: كَداء: الثنية التي في أصلها مقبرة مكة، ومنها دخل الزبير يومئذ (يعني يوم الفتح).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥.

(٦) مادة: (نقع).

(٧) أخرجه أحمد (٢٥٠٨٧)، وابن ماجه (٢٤٧٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

الحُرَّةُ الطِّينِ يَستنقعُ فيها الماءُ، والجمع: نِقاعٌ وأَنْقُعٌ، مثل: بحر وبِحار وأبْحُر.

قلت: وقد يكونُ النقعُ رفعَ الصوت، ومنه حديثُ عمرَ حين قيل له: إنَّ النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد، فقال: وما على نساء بني المغِيرة أن يَسْفِكْنَ من دموعهنَّ وهنَّ جلوسٌ على أبي سليمان، ما لَمْ يكن نَقْعٌ ولا لَقْلَقَة[1]. قال أبو عبيد[2]: يعني بالنقع رَفْعَ الصوت، على هذا رأيتُ قولَ الأكثرين من أهل العلم، ومنه قولُ لبيد:

فمتى ينقَعْ صُراخٌ صادِقٌ يُحْلِبوها ذاتَ جَرْس وزَجَلْ[3]

ويُروى: يَحْلِبوها أيضاً. يقول: متى سمعوا صراخاً[4] أَحْلَبوا الحرب، أي: جمعوا لها. وقولُه: يَنْقَع صُراخ: يعني رفعَ الصوت.

وقال الكسائيُّ: قولُه: نَقْعٌ ولا لقلقةٌ، النَّقْعُ: صنعةُ الطعام، يعني في المَأْتم. يقال منه: نقعْتُ أَنقَع نَقْعاً. قال أبو عبيد[5]: ذهب بالنقع إلى النَّقيعة، وإنَّما النقيعةُ عند غيره من العلماء: صنعةُ الطعام عند القدوم من سفر، لا في المأتم.

وقال بعضُهم: يريد عمر بالنقع: وَضْعَ الترابِ على الرأس. يذهبُ إلى أنَّ النقع هو الغبار. ولا أَحْسَبُ عمر ذهب إلى هذا، ولا خافه منهنَّ، وكيف يبلغ خوفُه ذا وهو يكره لهنَّ القيام، فقال: يَسْفِكْنَ من دموعهنَّ وهُنَّ جلوسٌ. قال بعضهم: النقع: شقُّ الجيوب، وهو الذي لا أدري ما هو من الحديث[6] ولا أعرفُه، وليس النقعُ عندي في

---

(١) علقه البخاري بنحوه قبل الحديث (١٩٢١)، ووصله عبد الرزاق (٦٦٨٥)، وأبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٢٧٣.

(٢) في غريب الحديث ٣/ ٢٧٥.

(٣) ديوان لبيد ص ١٩١، وغريب الحديث ٣/ ٢٧٥. ورواية الديوان: يُحَلبوه، قال شارحه: أي: يمدُّوه ويُعينوه بحلائب الخيل. والجرس: الصوت. والزجل كذلك، إلا أنَّ فيه تطريباً. أراد: كتيبة ذات جرس وزجل. والمعنى: أنهم إذا ارتفع صوت الصريخ هبوا للنجدة بكتيبة هذا حالها.

(٤) في غريب الحديث: صارخاً.

(٥) في غريب الحديث ٣/ ٢٧٤، وما قبله منه.

(٦) قوله: من الحديث، ليس في غريب الحديث.

هذا الحديث إلَّا الصوتُ الشديد، وأمَّا اللقلقةُ: فشِدَّةُ الصوت، ولم أسمع فيه اختلافًا.

وقرأ أبو حَيْوة: «فَأَثَّرْنَ» بالتشديد[(١)]، أي: أَرَتْ آثارَ ذلك. ومَن خفَّف فهو مِن أثار: إذا حرَّك، ومنه: ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم:٩].

قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

«جَمْعًا» مفعولٌ بـ «وَسَطْن»، أي: فوسَطْنَ بركبانهن العدوَّ، أي: الجمع الذي أغاروا عليهم. وقال ابن مسعود: «فَوَسَطْن بِهِ جمعاً» يعني مُزْدلِفة[(٢)]. وسمِّيت جمعاً لاجتماع الناس بها. ويقال: وسَطْتُ القومَ أَسِطُهم وَسْطًا وسِطَةً، أي: صِرتُ وَسْطَهم.

وقرأ عليٌّ ﷺ: «فَوَسَّطْن» بالتشديد[(٣)]، وهي قراءةُ قتادةَ وابنِ سيرين[(٤)] وأبي رجاء؛ لغتان بمعنى، يقال: وسطْتُ القومَ ـ بالتشديد والتخفيف ـ وتَوَسَّطْتُهُمْ، بمعنًى واحد[(٥)]. وقيل: معنى التشديد: جَعْلُها الجمعَ قسمين. والتخفيف: صِرْنَ في وسيط الجمع[(٦)]، وهما يرجعان إلى معنى[(٧)].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾

هذا جوابُ القسم، أي: طُبع الإنسان على كُفْران النعمة. قال ابن عباس: «لَكَنُودٌ»: لكفورٌ جَحُودٌ لنعم الله. وكذلك قال الحسن، وقال: يذكُر المصائبَ وينسى

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٧٨، والمحتسب ٢/ ٣٧٠، قال ابن جني: هذا كقولك: أرَيْنَ وأبْدَيْن.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٤.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٧٨، والمحتسب ٢/ ٣٧٠.

(٤) في (م): وابن مسعود.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥، وتفسير الطبري ٢٤/ ٥٨٢.

(٦) المحتسب ٢/ ٣٧٠.

(٧) بعدها في (م): الجمع.

النعم(١). أَخَذَه الشاعر فنَظَمه:

يـا أيُّـهـا الـظـالـمُ فـي فِـعْـلِـهِ والـظُّـلْـمُ مـردودٌ عـلـى مَـن ظَـلَـمْ
إلـى مـتـى أنْـتَ وحَـتَّـى مـتـى تشكو المُصيباتِ وتنسى النعم!(٢)

وروى أبو أُمامة الباهِليُّ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكَنُود هو الذي يأكلُ وحدَه، ويَمنعُ رِفْدَه، ويضربُ عَبْدَه»(٣). وروى ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلا أُنبِّئكم بشرارِكُمْ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «مَن نَزَل وحدَه، ومَنَع رِفْدَه، وجَلَدَ عبدَه»(٤). خرَّجهما الترمذيُّ الحكيم في «نوادر الأصول»(٥).

وقد روي عن ابن عباس أيضاً أنه قال: الكَنودُ بلسانِ كِنْدَة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعةَ ومُضَرَ: الكفور. وبلسان كِنانَة: البخيلُ السَّيِّءُ المَلَكة. وقاله مقاتل(٦). وقال الشاعر:

كَـنـودٌ لِـنَـعـمـاء الـرجـالِ ومَـنْ يـكـن كَـنـودًا لـنـعـمـاء الـرجـال يُـبَـعَّـدِ(٧)

أي: كفور. ثم قيل: هو الذي يكفُر اليسيرَ، ولا يشكر الكثير. وقيل: الجاحدُ

(١) أخرج قول ابن عباس والحسن الطبري ٢٤/ ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٢) سلف البيتان ١٧/ ٣٩٩ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٦ ، وابن حبان في المجروحين ١/ ٢١٢ ، والطبراني في الكبير (٧٩٥٨)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. وفي إسناده جعفر بن الزبير، وهو متروك كما ذكر ابن كثير. وأخرجه الطبراني (٧٧٧٨) بإسناد آخر عن أبي أمامة ﷺ. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢ : رواه الطبراني بإسنادين، في أحدهما جعفر بن الزبير وهو ضعيف، وفي الآخر مَن لم أعرفه. وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٦٠)، والطبري ٢٤/ ٥٨٧ عن أبي أمامة ﷺ موقوفاً.

(٤) قطعة من حديث طويل أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على الزهد للإمام أحمد ص٣٥٩ .

(٥) ص ٢٦٧ ، وليس في مطبوعه ذكر إسناديهما، وخبر أبي أمامة فيه موقوف مختصر.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ عن الكلبي، وتفسير أبي الليث ٣/ ٥٠٣ عن مقاتل.

(٧) ذكره أبو حيان في البحر ٨/ ٥٠٣ ، والسمين في الدر المصون ١١/ ٨٩ ، والألوسي في روح المعاني ٣٠/ ٢١٨ .

للحق. وقيل: إنَّما سمِّيتْ كِنْدَةُ كِندَة؛ لأنَّها جحدتْ أباها. وقال إبراهيم بن هَرْمَةَ الشاعر:

دعِ البخلاءَ إنْ شَمخُوا وصَدُّوا وذِكْرى بُخْلِ غانيةٍ كَنودِ[1]

وقيل: الكَنود: مِن كَنَدَ إذا قَطَع، كأنَّه يقطَعُ ما ينبغي أنْ يُواصِلَه من الشكر.

ويقال: كَنَد الحبلَ: إذا قطعه؛ قال الأعشى:

أميطي تُميطي بصُلْبِ الفؤادِ وَصُولِ حِبالٍ وكَنَّادِها[2]

فهذا يدلُّ على القطع. ويقال: كَنَدَ يكْنِدُ كُنودًا، أي: كَفَر النعمةَ وجَحدَها، فهو كَنود. وامرأة كَنودٌ أيضاً، وكُنُدٌ مِثله[3]. قال الأعشى:

أَحْدِثْ لها تُحْدِثْ لوَصْلِكَ إنَّها كُنُدٌ لوصلِ الزائرِ المعتادِ[4]

أي: كَفورٌ للمواصلة. وقال ابن عباس: الإنسانُ هنا الكافر، يقول: إنه لكفور[5]. ومنه: الأرضُ الكنودُ التي لا تُنْبِتُ شيئًا. وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة[6].

قال المبرِّد: الكنود: المانعُ لمَا عليه. وأنشد لكثير:

---

(١) لم نقف عليه في ديوان إبراهيم بن هرمة، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٣٢٥ ، ووقع في مطبوعه: إبراهيم بن زهير، بدل: إبراهيم بن هرمة.

(٢) ديوان الأعشى ص ١١٩ ، والصحاح (كند)، واللسان (ميط). ورواية الديوان واللسان: فميطي تميطي...، قال صاحب اللسان: ماط عني مَيْطاً ومَيَطاناً وأماط: تنحَّى وبَعُد وذهب. اهـ. وجاء في شرح البيت في الديوان: يذكر الأعشى صاحبته فيقول: لتذهب حيث تريد، فإنه لصلب الفؤاد، إنْ وَصَل حبل الود فهو خليق أن يقطعه.

(٣) الصحاح (كند).

(٤) ديوان الأعشى ص ١٧٩ . قال الشارح: تجدَّد لها وصلاً، فتجدد في وصلك قطيعة.

(٥) سلف في بداية تفسير هذه الآية.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٣٢٦ .

أَحْدِثْ لها تُحْدِثْ لوَصْلِكَ إنها كُنُدٌ لِوَصلِ الزائرِ المعتادِ[١]

وقال أبو بكر الواسطيُّ: الكنود: الذي ينفق نِعَم الله في معاصي الله.

وقال أبو بكر الورَّاق: الكنودُ: الذي يرى النعمةَ من نفسه وأعوانه.

وقال الترمذي: الذي يرى النعمةَ ولا يرى المنعِم.

وقال ذو النون المصريُّ: الهَلوعُ والكَنود: هو الذي إذا مسَّه الشرُّ جَزوعٌ، وإذا مسَّه الخيرُ مَنوعٌ.

وقيل: هو الحقودُ الحسود. وقيل: هو الجَهولُ لقَدْرِه. وفي الحكمة: مَن جهل قَدْرَه هتك[٢] سِتره.

قلت: هذه الأقوالُ كلُّها تَرجِعُ إلى معنى الكُفْرانِ والجحود. وقد فسَّر النبيُّ ﷺ معنى الكَنودِ بخصالٍ مذمومةٍ، وأحوالٍ غيرِ محمودةٍ[٣]، فإنْ صحَّ فهو أعلى ما يقال، ولا يبقى لأحدٍ معه مَقال.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾

أي: وإنَّ الله عزَّ وجلَّ ثناؤه على ذلك من ابن آدمَ لَشَهيد. كذا روى منصورٌ عن مجاهد، وهو قولُ ابنِ عباس[٤].

وقال الحسن وقتادةُ ومحمد بن كعب: «وإنَّه»، أي: وإنَّ الإنسان لشاهدٌ على نفسه بما يصنع. ورُوي عن مجاهد أيضًا[٥].

(١) ليس في ديوان كثير، وقد سلف عن الأعشى.

(٢) في (ظ): كشف.

(٣) سلف ص٤٣٧ من هذا الجزء.

(٤) ذكره عن ابن عباس الواحدي في الوسيط ٤/ ٥٤٥ ، وأخرجه عن مجاهد ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٧ - ٥٨٨ عن قتادة وسفيان.

(٥) أخرجه عن محمد بن كعب ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ ، وذكره عن الحسن ومجاهد ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٥١٥ .

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الإنسانَ من غيرِ خلافٍ. ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقال عديّ:

ماذا تُرَجِّي النفوسُ من طلب الـ ـخَيْرِ وحُبُّ الحياةِ كارِبُها[١]

﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لَقَويٌّ في حبِّه للمال. ويقال: «الشدِيد»: لبخيل. ويقال للبخيل: شديدٌ ومتشدِّد؛ قال طَرَفة:

أَرَى الموتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطَفي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ[٢]

يقال: اعْتَامَه واعْتَمَاه، أي: اختاره. والفاحِشُ: البخيل أيضًا. ومنه قولُه تعالى: ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] أي: البخل.

قال ابن زيد: سمَّى الله المالَ خيرًا، وعسى أن يكون شرًّا وحراماً، ولكنَّ الناس يَعُدُّونه خيراً، فسمَّاه الله خيراً لذلك. وسمَّى الجهادَ سُوءاً، قال: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] على ما يسمِّيه الناس[٣].

قال الفرَّاء: نَظْمُ الآيةِ أن يقال: وإنَّه لَشديدُ الحبِّ للخير[٤]؛ فلمَّا تقدَّم الحبُّ قال: شديد، وحذف مِن آخِرِه ذكر الحبِّ؛ لأنَّه قد جرى ذِكْرُه، ولرؤوس الآي، كقوله تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨] والعُصُوف للريح لا للأيام، فلمَّا جرى ذِكْرُ الريح قبل اليوم، طرح من آخِرِه ذِكْر الريح، كأنه قال: في يومٍ عاصِفِ الريح[٥].

---

(١) الأغاني ٢/ ١٤٧.

(٢) ديوان طرفة ص ٣٤. قال النحاس في شرح المعلقات ١/ ٨٣: يصطفي: يأخذ صفوته وهو خيرته. وعقيلة المال: أكرمه وأنفسه عند أهله.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٨٩.

(٤) العبارة في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥: وإنه للخير لشديد الحب.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٥ - ٢٨٦.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ أي: ابنُ آدمَ ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أي: أُثير وقُلِب وبُحِث، فأُخرج ما فيها. قال أبو عبيدة: بَعْثَرْتُ المتاع: جعلت أسفلَهُ أعلاه[1]. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يُبْعَثون[2]. الفرَّاء: سمعتُ بعضَ أعرابِ بني أسد يقرأ: «بُحْثِرَ» بالحاء مكانَ العين[3]، وحكاه الماورديُّ عن ابن مسعود[4]، وهما بمعنى.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي: مُيِّز ما فيها من خيرٍ وشر؛ كذا قال المفسِّرون. وقال ابن عباس: أُبرِز[5].

وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جُبير ويحيى بن يعمُر ونصر بن عاصم: «وحَصَل» بفتح الحاء وتخفيفِ الصاد وفتحِها[6]، أي: ظهر.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ أي: عالمٌ لا يَخْفَى عليه منهم خافيةٌ. وهو عالمٌ بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى: أنه يجازيهم في ذلك اليوم.

وقوله: «إذا بُعثِر»، العاملُ في «إذا»: «بُعْثِر»، ولا يعملُ فيه «يَعْلَمُ»؛ إذ لا يرادُ به العِلْمُ من الإنسان ذلك الوقت، إنَّما يراد في الدنيا. ولا يعمل فيه «خَبِيرٌ»؛ لأنَّ ما بعد «إنَّ» لا يعملُ فيما قبلها. والعاملُ في «يَوْمَئِذٍ»: «خَبِيرٌ»، وإنْ فَصَلَتِ اللَّامُ بينهما؛ لأنَّ موضع اللام الابتداء. وإنَّما دخلت في الخبر لدخول «إنَّ» على المبتدأ[7]. ويُروى أنَّ

(١) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٨ ، وقال أبو عبيدة أيضاً ٢/ ٣٠٨ : «بعثر ما في القبور»: أُثير فأخرج.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٨٥ .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦ ، وقال الفراء: وهما لغتان: بحثر وبعثر.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٣٢٦ .

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٥٩٠ .

(٦) القراءات الشاذة ص ١٧٨ عن يحيى.

(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٣٦ - ٨٣٧ .

الحجَّاجَ قرأ هذه السورة على المنبر يحضُّهم على الغزو، فجرى على لسانه: «أَنَّ ربَّهم» بفتح الألف، ثم استدركها فقال: «خَبير» بغيرِ لامٍ[1]. ولولا اللامُ لكانت مفتوحة، لوقوع العلم عليها. وقرأ أبو السَّمَّال: «أَنَّ رَبَّهمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ»[2]. والله سبحانه وتعالى أعلم.

تفسير سورة العاديات

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (٥) إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ (١١) ﴾ .

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فَعَدَت وضَبَحت ، وهو : الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو . ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار .

﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ يعنى : الإغارة وقت الصباح ، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمّع [١] أذانا ، فإن سمع [٢] وإلا أغار .

[وقوله] [٣] : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ يعنى : غباراً فى [مكان] [٤] معترك الخيول .

﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ أى : توسطن ذلك المكان كُلّهن جُمعَ .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشجّ ، حدثنا عبدة ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عبد الله : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ قال : الإبل .

وقال على : هى الإبل . وقال ابن عباس : هى الخيل . فبلغ عليا قولُ ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كان ذلك فى سرية بعثت .

قال ابن أبى حاتم وابن جرير : حدثنا يونس ، أخبرنا ابن وهب ، أخبرنى أبو صخر ، عن أبى معاوية البجلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس حدثه ، قال : بينا أنا فى الحِجْر جالساً ، جاءنى رجل فسألنى عن : ﴿ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقلت له : الخيل حين تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم . فانفتل عنى فذهب إلى على ، رضى الله عنه ، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، فقال :سألت عنها أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عباس فقال : الخيل حين تغير فى سبيل الله . قال : اذهب فادعه لى . فلما وقف على رأسه قال : تفتى الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أولَ غزوة فى الإسلام بدر ، وما كان معنا إلا فَرَسان : فرس للزبير وفرس للمقداد ، فكيف تكون العاديات ضبحاً ؟ إنما العاديات ضبحا من عرفة

(١) فى أ : « ويستمع » . (٢) فى م : « فإن سمع أذاناً » . (٣،٤) زيادة من م ، أ .

إلى المزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى .

قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على ، رضى الله عنه [١] .

وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال على : إنما ﴿الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ من عرفة إلى المزدلفة ، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران .

وقال العَوفى عن ابن عباس : هى الخيل .

وقد قال بقول على : إنها الإبل جماعة . منهم : إبراهيم ، وعبيد بن عمير وبقول ابن عباس آخرون ، منهم : مجاهد وعكرمة ، وعطاء وقتادة ، والضحاك . واختاره ابن جرير .

قال ابن عباس ، وعطاء : ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب .

وقال ابن جُرَيْج [٢] ، عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح : أح أح .

وقال أكثر هؤلاء فى قوله : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : بحوافرها . وقيل : أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن . قاله قتادة .

وعن ابن عباس ومجاهد : ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ يعنى : مكر الرجال .

وقيل : هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل .

وقيل : المراد بذلك : نيران القبائل .

وقال من فسرها بالخيل : هو إيقاد النار بالمزدلفة .

وقال ابن جرير : والصواب الأول ؛ أنها الخيل حين تقدح بحوافرها .

وقوله : ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى إغارة الخيل صبحاً فى سبيل الله .

وقال من فسرها بالإبل : هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى .

وقالوا كلهم فى قوله : ﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴾ هو : المكان الذى إذا حلت فيه أثارت به الغبار ، إما فى حج أو غزو .

وقوله : ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قال العَوفى ، عن ابن عباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : يعنى جَمع الكفار من العدو .

ويحتمل أن يكون : فوسطن بذلك المكان جَميعُهُن ، ويكون ﴿ جَمْعًا ﴾ منصوباً على الحال المؤكدة .

وقد روى أبو بكر البزار هاهنا حديثاً [غريباً جداً] [٣] فقال : حدثنا أحمد بن عبدة ، حدثنا حفص بن جُمَيع ، حدثنا سِمَاك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ خيلاً

(١) تفسير الطبرى (٣٠/١٧٦) .

(٢) فى أ : « جرير » .

(٣) زيادة من م ،أ .

فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر ، فنزلت : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ ، ضبحت بأرجلها ، ﴿ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴾ : قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً ، ﴿ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴾ : صَبَّحت القوم بغارة ، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ : أثارت بحوافرها التراب ، ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ قال : صبحت القوم جميعاً (١).

وقوله : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود ﴾ :هذا هو المقسم عليه ، بمعنى : أنه لنعم ربه لجحود كفور .

قال ابن عباس ، ومجاهد وإبراهيم النَّخعي ، وأبو الجوزاء ، وأبو العالية ، وأبو الضحى ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن قيس ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن زيد: الكنود : الكفور . قال الحسن : هو الذى يعد المصائب ، وينسى نعم ربه .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم ، عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود ﴾ ، قال : «الكفور الذى يأكل وحده ، ويضرب عبده ، ويمنع رفده » (٢) .

ورواه ابن أبى حاتم ، من طريق جعفر بن الزبير ــ وهو متروك ــ فهذا إسناد ضعيف . وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان ، عن حمزة بن هانئ ، عن أبى أمامة موقوفاً (٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ : قال قتادة وسفيان الثورى : وإن الله على ذلك لشهيد .

ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان ، قاله محمد بن كعب القرظى ، فيكون تقديره : وإن الإنسان على كونه كنوداً (٤) لشهيد ، أى : بلسان حاله ، أى : ظاهر ذلك عليه فى أقواله وأفعاله ، كما قال تعالى :﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة:١٧] .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ أى: وإنه لحب الخير ــ وهو: المال ــ لشديد. وفيه مذهبان :

أحدهما : أن المعنى : وإنه لشديد المحبة للمال .

والثانى : وإنه لحريص بخيل ؛ من محبة المال . وكلاهما صحيح .

ثم قال تعالى مُزَهِّدا فى الدنيا ، ومُرَغِّباً في الآخرة ، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال ، وما يستقبله الإنسان من الأهوال : ﴿ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ ﴾ أى : أخرج ما فيها من الأموات ، ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ ﴾ قال ابن عباس وغيره : يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم ، ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ أى : لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ، مجازيهم (٥) عليه أوفر الجزاء ، ولا يظلم مثقال ذرة .

آخر [تفسير] (٦) سورة « والعاديات » ولله الحمد [والمنة ، وحسبنا الله] (٧)

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٩١) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ١٤٢) : « فيه حفص بن جميع وهو ضعيف » .

(٢) ورواه الطبرى فى تفسيره (٣٠/ ١٨٠) عن أبى كريب ، به .

(٣) تفسير الطبرى (٣٠/ ١٨٠) .

(٤) فى م : « لكنودا » . (٥) فى أ : « ويجازيهم » . (٦،٧) زيادة من م .

١٠٠ ــ سورة العاديات

(مكية وهى إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ ١٠٠ العاديات

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ ١٠٠ العاديات

فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ ١٠٠ العاديات

فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ ١٠٠ العاديات

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ ١٠٠ العاديات

﴿ سورة العاديات مكية مختلف فيها وآيها إحدى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى
* (ضبحاً) مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحاً وهو صوت أنفسها
عند عدوها أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى
٢ الفاعل أى ضابحات (فالموريات قدحاً) الإيراء إخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى
٣ تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجوه الثلاثة (فالمغيرات) أسند
الإغارة التى هى مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها وهى حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة فى
* إغارتهم (صبحاً) أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون
٤ عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم
* الفاعل إذ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن بذلك الوقت (نقعاً) أى غباراً
وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذى لا يظهر
فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرىء فأثرن بالتشديد بمعنى
٥ فأظهرن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن
* ملتبسات بالنقع (جمعاً) من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما
فى قوله [يالهف زيابة للحارث ال * صابح فالغانم فالآيب] فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة

إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ١٠٠ العاديات

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ١٠٠ العاديات

وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ١٠٠ العاديات

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ١٠٠ العاديات

على الإيراء المترتب على العدو وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة ٦
كنوداً جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفراده . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
إلى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه
عليه الصلاة والسلام خبرها شهراً فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة إخباراً للنبى صلى الله عليه
وسلم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم ونعياً على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود وفى
تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت
وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران (وإنه على ذلك) ٧
أى وإن الإنسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (وإنه لحب الخير) ٨
أى المال كما فى قوله تعالى إن ترك خيراً (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه *
يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل أى أنه لأجل حب
المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء
إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون
أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى (أفلا يعلم إذ بعثر مافى القبور) الخ تهديد ووعيد ٩
والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ
فلا يعلم حاله إذا بعث من فى القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء بحثر
وبحث وبحثر وبحث على بنائهم للفاعل (وحصل) أى جمع محصلا أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل ١٠
مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (مافى الصدور) من الأسرار الخفية التى من جملتها مايخفيه المنافقون من *
الكفر والمعاصى فضلا عن الأعمال الجلية (إن ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثانى بضمير ١١
العقلاء بعد ماعبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الإحياء الأول



مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء، مدنية في قول أنس وقتادة وإحدى الروايتين عن ابن عباس، وقد أخرج عنه البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والدارقطني في الافراد وابن مردويه أنه قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً فاستمرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿والعاديات﴾ الخ. وآيها إحدى عشرة آية بلا خلاف. وأخرج أبو عبيد في فضائله من مرسل الحسن أنها تعدل بنصف القرآن. وأخرج ذلك محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعاً ولم أقف على سره. ولما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر وأتبع ذلك فيها بتعنيت من اثر دنياه على آخرته ولم يستعد لها بفعل الخير. ولا يخفى ما في قوله تعالى هناك ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ [الزلزلة: ٢] وقوله سبحانه هنا ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾ [العاديات: ٩] من المناسبة أو العلاقة على ما سمعت من أن المراد بالأثقال ما في جوفها من الأموات أو ما يعمهم والكنوز.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالعَادِيَاتِ﴾ الجمهور على أنه قسم بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تعدو أي تجري بسرعة نحو العدو، وأصل العاديات العادوات بالواو فقلبت ياء لانكسار ما قبلها. وقوله تعالى ﴿ضَبْحاً﴾ مصدر منصوب بفعله المحذوف أي تضبح أو يضبحن ضبحاً والجملة في موضع الحال، وضبحها صوت أنفاسها عند عدوها. وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس: الخيل إذا عدت قالت اح اح فذلك ضبحها. وأخرج ابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه: الضبح من الخيل الحمحمة ومن الإبل التنفس. وفي البحر تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير الصوت المعتاد من صوت الحيوان الذي ينسب هو إليه وعن ابن عباس: ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب ولا يصح عنه فإن العرب استعملت الضبح في الإبل والأسود من الحيات والبوم والأرنب والثعلب وربما تسنده إلى القوس. أنشد أبو حنيفة في صفتها.

حنانة من نشم أو تالب تضبح في الكف ضباح الثعلب

وذكر بعضهم أن أصله للثعلب فاستعير للخيل كما في قول عنترة:

والخيل تكدح حين تضـ بح في حياض الموت ضبحا

وإنه من ضبحته النار غيّرت لونه ولم تبالغ فيه. ويقال انضبح لونه تغير إلى السواد قليلاً. وقال أبو عبيدة: الضبح وكذا الضبع بمعنى العدو الشديد وعليه قيل إنه مفعول مطلق للعاديات وليس هناك فعل مقدر. وجوز على تفسيره بما تقدم أن يكون نصباً على المصدرية به أيضاً لكن باعتبار أن العدو مستلزم للضبح فهو في قوة فعل الضبح. ويجوز أن يكون نصباً على الحال مؤولاً باسم الفاعل بناءً على أن الأصل فيها أن تكون غير جامدة أي والعاديات ضابحات ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ الإيراء إخراج النار والقدح هو الضرب والصك المعروف يقال: قدح فأورى إذا أخرج النار، وقدح فأصلد إذا قدح ولم يخرجها والمراد بها الخيل أيضاً أي فالتي توري النار من صدم حوافرها للحجارة وتسمى تلك النار نار الحباحب وهو اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لما تقدحه الخيل بحوافرها والإبل بأخفافها. وانتصاب ﴿قدحاً﴾ كانتصاب ﴿ضبحاً﴾ على ما تقدم. وجوز كونه على التمييز المحول عن الفاعل أي فالمورى قدحها ولعله أمير وأبعد عن القدح. وعن قتادة: الموريات مجاز في الخيل توري نار الحرب وتوقدها وهو خلاف الظاهر ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ من أغار على العدو هجم عليه بغتة بخيله لنهب أو قتل أو إسار، فالإغارة صفة أصحاب الخيل وإسنادها إليها إما بالتجوز فيه أو بتقدير المضاف والأصل فالمغير أصحابها أي فالتي يغير أصحابها على العدو عليها وقيل بسببها ﴿صُبْحاً﴾ أي في وقت الصبح فهو نصب على الظرفية وذلك هو المعتاد في الغارات كانوا يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون صباحاً ليروا ما يأتون وما يذرون وكانوا يتحمسون بذلك ومنه قوله:

قومي الذين صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ﴾ من الإثارة وهي التهييج وتحريك الغبار ونحوه. والأصل أثورن نقلت حركة الواو إلى ما قبلها وقلبت ألفاً وحذفت لاجتماع الساكنين، والفعل عطف على الاسم قبله وهو العاديات، أو ما بعده لأنه اسم فاعل وهو في معنى الفعل خصوصاً إذا وقع صلة فكأنه قيل: فاللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن. ولا شذوذ في مثله لأن الفعل تابع فلا يلزم دخول أل عليه ولا حاجة إلى أن يقال هو معطوف على الفعل الذي وضع اسم الفاعل موضعه. والحكمة في مجيء هذا فعلاً بعد اسم فاعل على ما قال ابن المنير تصوير هذه الأفعال في النفس فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد المضارع كقول ابن معد يكرب:

بأني قد لقيت الغول يهوي بشهب كالصحيفة صحصحان

فآخذه فأضربه فخرت صريعاً لليدين وللجران

وخص هذا المقام من الفائدة على ما قال الطيبي أن الخيل وصفت بالأوصاف الثلاثة ليرتب عليها ما قصد من الظفر بالفتح فجيء بهذا الفعل الماضي وما بعده مسببين عن أسماء الفاعلين فأفاد ذلك أن تلك المداومة أنتجت هاتين البغيتين، ويفهم منه أن الفاء لتفريع ما بعدها عما قبلها وجعله مسبباً عنه وسيأتي الكلام فيها قريباً إن شاء الله تعالى وضمير ﴿به﴾ للصبح والباء ظرفية أي فهيجن في ذلك الوقت ﴿نَقْعاً﴾ أي غباراً وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الإيراء الذي لا يظهر في النهار

واقع في الليل. وفي ذكر إثارة الغبار إشارة بلا غبار إلى شدة العدو وكثرة الكر والفر وكثيراً ما يشيرون به إلى ذلك ومنه قول ابن رواحة:

عدمت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع من كنفي كداء

وقال أبو عبيدة: النقع رفع الصوت ومنه قول لبيد:

فمتى ينقع صراخ صادق ... يحلبوه ذات جرس وزجل

وقول عمر رضي الله تعالى عنه وقد قيل له يوم توفي خالد بن الوليد إن النساء قد اجتمعن يبكين على خالد: ما على نساء بني المغيرة أن يسفكن على أبي سليمان دموعهن وهن جلوس ما لم يكن نقع ولا لقلقة. والمعنى عليه فهيجن في ذلك الوقت صياح وهو صياح من هجم عليه وأوقع به. والمشهور المعنى الأول وجوز كون ضمير به للعدو الدال عليه العاديات أو للإغارة الدال عليها المغيرات والتذكير لتأويلها بالجري ونحوه والباء للسببية أو للملابسة وجوز كونها ظرفية أيضاً والضمير للمكان الدال عليه السياق والأول أظهر وألطف. ومثله ضمير ﴿به﴾ في قوله عز وجل ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ﴾ أي فتوسطن في ذلك الوقت ﴿جَمْعًا﴾ من جموع الأعداء وجوز فيه وفي بائه نحو ما تقدم في به قبله وجوز أيضاً كون الضمير للنقع والباء للملابسة أي فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعاً أو هي على ما قيل للتعدية إن أريد أنها وسطت الغبار والفاءات كما في الإرشاد للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ما قبله فتوسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو. وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة «فأثّرن» و «فوسّطن» بتشديد الثاء والسين. وقرأ علي كرم الله تعالى وجهه وزيد بن علي وقتادة وابن أبي ليلى الأول كالجمهور والثاني كذين. والمعنى على تشديد الأول فأظهرن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار وعلى تشديد الثاني على نحو ما تقدم. فقد نقلوا أن وسط مخففاً ومثقلاً بمعنى واحد وأنهما لغتان. وقال ابن جني المعنى ميزن به جمعاً أي جعلنه شطرين أي قسمين وشقين. وقال الزمخشري: التشديد فيه للتعدية والباء مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى «وأتوا به» في قراءة وهي مبالغة في وسّطن وجوز أن يكون قلب ثورن إلى وثرن ثم قلبت الواو همزة فالمعنى على ما مرّ وهو تمحل مستغنى عنه. وعن السدي ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير أنهم قالوا العاديات هي الإبل تعدو ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى. ونسب إلى عليّ كرم الله تعالى وجهه فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في كتاب الأضداد وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس إذ أتاني رجل فسألني عن ﴿العاديات ضبحاً﴾ فقلت: الخيل حين تغير في سبيل الله تعالى ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم، فانفتل عني فذهب إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو جالس تحت سقاية زمزم، فسأله عن العاديات ضبحاً فقال سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس. فقال: هي الخيل حين تغير في سبيل الله تعالى فقال: اذهب فادعه لي فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله إن كانت لأول غزوة في الإسلام لبدر وما كان معنا إلاّ فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً الإبل تعدو من عرفة إلى المزدلفة فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران ﴿والمغيرات صبحاً﴾ من المزدلفة إلى منى فذلك جمع. وأما قوله تعالى ﴿فأثرن به نقعاً﴾ فهو نقع الأرض حين تطؤها بخفافها. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي إلى قول عليّ كرم الله تعالى وجهه ورضي الله تعالى عنه. واستشكل رده كرم الله تعالى وجهه كون المراد بها الخيل بما كان من أمر غزوة بدر بأن ابن عباس لم يدع أن أل في العاديات للعهد وأنها إشارة إلى عاديات بدر، ولا أن السورة

نزلت في شأن تلك الغزوة ليلزم تحقق ذلك فيها ودخولها تحت العموم بل ظاهر كلامه حمل ذلك على جنس الخيل التي تعدو في سبيل الله عز وجل وإن حملت على العهد. وقيل: إن المعهود هو الخيل التي بعثها عليه الصلاة والسلام للغزو على ما سمعت صدر السورة وكذا على ما روي من أنه عليه الصلاة والسلام بعث إلى أناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري وكان أحد النقباء فأبطأ ﷺ خبرها شهراً، فقال المنافقون: إنهم قتلوا، فنزلت السورة إخباراً له عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له ﷺ بإغارتها على القوم لم يبعد، وأجيب بأنه كرم الله تعالى وجهه أراد أن غزوة بدر هي أفضل غزوات الإسلام وبدرها الذي ليس فيه انثلام فيتعين أن لا تكون المراد ذلك. ويسلك في الآية ما يناسبها من المسالك ولا يخفى أن هذا الجواب لا يتحمل لمزيد ضعفه الإغارة عليه وإطلاق أعنّة عاديات الأفكار إليه والأحرى أن الخبر لا صحة له وتصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل الأثر بكثرة التساهل فيه وأنه غير معتبر ثم إن النقل عنه رضي الله تعالى عنه في المراد بالعاديات متعارض بما تقدم أنه إبل الحجاج. ونقل صاحب التأويلات أنه كرم الله تعالى وجهه فسرها بإبل بدر وأن ابن مسعود هو الذي فسرها بإبل الحجاج. ويرجح إرادة الخيل أن إثارة النقع فيها أظهر منها في الإبل ثم إن ذلك الخبر يقتضي أن للقسم به نوعان الخيل والإبل وجماعة الغزاة أو الحجاج الموقدة ناراً لطعامها أو نحوه. وفي بعض الآثار عن ابن عباس ما هو أصرح مما تقدم في تفسير الموريات بما يغاير العاديات بالذات ففي البحر عنه أنها الجماعة التي توري نارها بالليل لحاجتها وطعامها. وفي رواية أخرى عنه تلك جماعة الغزاة تكثر النار إرهاباً ورويت المغايرة عن آخرين أيضاً. فعن مجاهد وزيد بن أسلم وهي رواية أخرى عن ابن عباس هي الجماعة تمكر في الحرب فالعرب تقول إذا أرادت المكر بالرجل: والله لأورين له، ومن الغريب ما روي عن عكرمة أنها ألسنة الرجال توري النار من عظيم ما يتكلم به ويظهر من الحجج والدلائل وإظهار الحق وإبطال الباطل وهو كما ترى.

ومن البطون والإشارات أن يكون المقسم به النفوس العادية إثر كمالهن الموريات بأفكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات إذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فأثرن به شوقاً فوسطن بذلك الشوق جمعاً من جموع العليين. ومثله ما قيل إن ذلك قسم بالهمم القالبية التي تعدو في سبيل الله تعالى خارجاً من جوف اشتياقها صوت الدعاء من شدة العدو وغاية الشوق بحيث يسمع الروحانيون ضجيج دعائها وتضرعها والتماسها تسهيل سلوك الطريق الوعر الذي يتعلق بجبال القالب الموريات بحوافر الذكر نار الهداية المستكنة في حجر القالب وقت تخمير اللطيفة والمغيرات بعد سلوكها في جبال القالب الراسية في ظلام الليل القالبي وعبورها عنها إلى أفق عالم النفس وتنفس صبح النفس على الخواطر النفسية وشؤونها فهيجن بذلك الجري غبار الخواطر وأثرنه لئلا يختفي خاطر من الخواطر، فوسطن بذلك جمعاً من جنود القوى القلبية وحزب الخواطر الذكرية التي هي حزب الرحمن في وسط عالم النفس ولهم في هذا الباب غير ذلك. وأيّا ما كان فالمقسم عليه قوله تعالى **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾** أي لكفور جحود من كند النعمة كفرها ولم يشكرها وأنشدوا:

كنود لنعماء الرجال ومن يكن ... كنوداً لنعماء الرجال يبعد

وعن ابن عباس ومقاتل: الكنود بلسان كندة وحضرموت العاصي، وبلسان ربيعة ومضر الكفور، وبلسان كنانة البخيل السيِّىء الملكة، ومنه الأرض الكنود الذي لا تنبت شيئاً. وقال الكلبي نحوه إلاّ أنه قال: وبلسان بني مالك البخيل ولم يذكر حضرموت بل اقتصر على كندة وتفسيره بالكفور هنا مروي عن ابن عباس

والحسن وأخرجه ابن عساكر عن أبي أمامة مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ. وفي رواية أخرى عن الحسن أنه قال: هو اللائم لربه عز وجل يعد السيئات وينسى الحسنات. وروى الطبراني وغيره بسند ضعيف عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الكنود»؟ قالوا الله تعالى ورسوله أعلم. قال: «هو الكفور الذي يضرب عبده ويمنع رفده ويأكل وحده». وأخرجه البخاري في الأدب المفرد والحكيم الترمذي وغيرهما تفسيره بالذي يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده موقوفاً على أبي أمامة. والجمهور على تفسيره بالكفور وكل مما ذكر لا يخلو عن كفران والكفران المبالغ فيه يجمع صنوفاً منه. وأل في ﴿الإنسان﴾ للجنس والحكم عليه بما ذكر باعتبار بعض الافراد. وقيل: المراد به كافر معين لما روي عن ابن عباس أنها نزلت في قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشي وأيد بقوله تعالى بعد ﴿أفلا يعلم﴾ الخ لأنه لا يليق إلاّ بالكافر. وفي الأمرين نظر وقيل المراد به كل الناس على معنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلاّ إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك واختاره عصام الدين وقال: فيه مدح للغزاة لسعيهم على خلاف طبعهم. و ﴿لربه﴾ متعلق بكنود واللام غير مانعة من ذلك، وقدم للفاصلة مع كونه أهم من حيث إن الذم البالغ إنما هو على كنود نعمته عز وجل وقيل للتخصيص على سبيل المبالغة. ﴿وإِنَّهُ﴾ أي الإنسان كما قال الحسن ومحمد بن كعب ﴿عَلَى ذَٰلِكَ﴾ أي على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ لظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال الذي هو أفصح من لسان المقال. وقيل: هي بلسان المقال لكن في الآخرة. وقيل: شهيد من الشهود لا من الشهادة بمعنى أنه كفور مع علمه بكفرانه وعمل السوء مع العلم به غاية المذمة والظاهر الأول. وقال ابن عباس وقتادة: ضمير ﴿إنه﴾ عائد على الله تعالى أي وإن ربه سبحانه شاهد عليه فيكون الكلام على سبيل الوعيد واختاره التبريزي فقال: هو الأصح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور قبله. وفيه أن الوجوب ممنوع واتساق الضمائر وعدم تفكيكها يرجح الأول فإن الضمير السابق أعني ضمير ﴿لربه﴾ للإنسان ضرورة وكذا الضمير اللاحق أعني الضمير في قوله تعالى ﴿وإنهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أي المال وورد بهذا المعنى في القرآن كثيراً حتى زعم عكرمة أن الخير حيث وقع في القرآن هو المال وخصه بعضهم بالمال الكثير وفسر به في قوله تعالى ﴿إن ترك خيراً الوصية﴾ [البقرة: ١٨٠] وإطلاق كونه خيراً باعتبار ما يراه الناس وإلاّ فمنه ما هو شر يوم القيامة واللام للتعليل أي أنه لأجل حب المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي لبخيل كما قيل وكما يقال للبخيل شديد يقال له متشدد كما في قول طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي   عقيلة مال الفاحش المتشدد

وشديد فيه يجوز أن يكون بمعنى مفعول كأن البخيل شد عن الإفضال، ويجوز أن يكون بمعنى فاعل كأنه شد صرته فلا يخرج منها شيئاً. وجوز غير واحد أن يراد بالشديد القوي ولعله الأظهر وكأن اللام عليه بمعنى في أي وإنه لقوي مبالغ في حب المال. والمراد قوة حبه له. وقال الزمخشري: المعنى وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوي مطيق وهو لحب عبادة الله تعالى وشكر نعمته سبحانه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الأمر وقوي له إذا كان مطيقاً له ضابطاً. وجعل النيسابوري اللام على هذا للتعليل وليس بظاهر فتأمل. وقال الفراء: يجوز أن يكون المعنى وإنه لحب الخير لشديد الحب يعني أنه يحب المال ويحب كونه محباً له إلاّ أنه اكتفى بالحب الأول عن الثاني كما قال تعالى ﴿اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ [إبراهيم: ١٨] أي في يوم عاصف الريح فاكتفى بالأول عن الثاني. وقال قطرب: أي إنه شديد لحب الخير كقولك إنه لزيد ضروب في إنه ضروب لزيد. وظاهر التمثيل أنه اعتبر حب الخير مفعولاً به لشديد وإن شديد اسم فاعل جيء

به على فعيل للمبالغة وأن اللام في ﴿لحب﴾ للتقوية وفيه ما فيه. وقيل يجوز أن يعتبر أن شديداً صفة مشبهة كانت مضافة إلى مرفوعها وهو حب المضاف إلى الخير إضافة المصدر إلى مفعوله ثم حول الاسناد وانتصب المرفوع على التشبيه بالمفعول به، ثم قدم وجر باللام وفيه مع قطع النظر عن التكلف أن تقدم معمول الصفة عليها لا يجوز وكونه مجروراً في مثل ذلك لا يجدي نفعاً إذ ليس هو فيه نحو زيد بك فرح كما لا يخفى. ويفهم من كلام الزمخشري في الكشاف جواز أن يراد به ما هو عنده تعالى من الطاعات على أن المعنى إنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض. وقوله تعالى ﴿أفَلاَ يَعْلَمُ إذَا بُعْثِرَ مَا فِي القبور﴾ الخ تهديد ووعيد والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في إذا وهي ظرفية أي أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم الآن مآله إذا بعثر من في القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء. وقال الحوفي: العامل في ﴿إذا﴾ الظرفية ﴿يعلم﴾ وأورد عليه أنه لا يراد منه العلم في ذلك الوقت بل العلم في الدنيا. وأجيب بأن هذا إنما يرد إذا كان ضمير ﴿يعلم﴾ راجعاً إلى الإنسان وذلك غير لازم على هذا القول لجواز أن يرجع إليه عز وجل ويكون مفعولا يعلم محذوفين. والتقدير أفلا يعلمهم الله تعالى عاملين بما عملوا إذا بعثر على أن يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى أفلا يجازيهم إذا بعثر ويكون الجملة المؤكدة بعد تحقيقاً وتقريراً لهذا المعنى وهو كما ترى. وقيل: إن إذا مفعول به ليعلم على معنى أفلا يعلم ذلك الوقت ويعرف تحققه وقل إن العالم فيها بعثر بناء على أنها شرطية غير مضافة قالوا: ولم يجوز أن يعمل فيها لخبير لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وأوجه الأوجه ما قدمناه وتعدي العلم إذا كان بمعنى المعرفة لواحد شائع وتقدم تحقيق معنى البعثرة فتذكر. وقرأ عبد الله «بحثر» بالحاء والثاء المثلثة. وقرأ الأسود بن زيد «بحث» بهما. بدون راء وقرأ نصر بن عاصم «بحثر» كقراءة عبد الله لكن بالبناء للفاعل. ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي جمع ما في القلوب من العزائم المصممة وأظهر كإظهار اللب من القشر وجمعه أو ميّز خيره من شره فقد استعمل حصل الشيء بمعنى ميزه من غيره كما في البحر. وأصل التحصيل إخراج اللب من القشر كإخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن وتخصيص ما في القلوب لأنه الأصل لأعمال الجوارح ولذا كانت الأعمال بالنيات وكان أول الفكر آخر العمل فجميع ما عمل تابع له فيدل على الجميع صريحاً وكناية. وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبي معدان «وحَصَّلَ» مبنياً للفاعل وهو ضميره عز وجل. وقرأ ابن يعمر ونصر أيضاً «حَصَلَ» مبنياً للفاعل خفيف الصاد فما عليه هو الفاعل ﴿إنَّ رَبَّهُمْ﴾ أي المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعدما عبّر عنهم قبل ذلك بما بناء تفاوتهم في الحالين ﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم إذ يكون ما عدّ من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور والظرفان متعلقان بقوله تعالى ﴿لَخَبِيرٌ﴾ أي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم وإلاّ فمطلق علمه عز وجل بما كان وما سيكون. وقرأ أبو السمال والحجاج «أن ربهم بهم يومئذ خبير» بفتح همزة أن وإسقاط لام التأكيد فأن وما بعدها في تأويل مصدر معمول ليعلم على ما استظهره بعضهم، وأيد به كون يعلم معلقة عن العمل في أن ربهم الخ على قراءة الجمهور لمكان اللام وإذا على هذا لا يجوز تعلقها بخبير أيضاً لكونه في صفة أن المصدرية فلا يتقدم معموله عليها. ويعلم أمره مما تقدم وقيل الكلام على تقدير لام التعليل وهي متعلقة بحصل كأنه قيل وحصل ما في الصدور لأن ربهم بهم يومئذ خبير والأول أظهر والله تعالى أعلم وأخبر.